الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية الآداب واللغة العربية

الملتقى الدولي: الأدب الرّقمي.. رهانات وآفاق

17/ 18 أفريل 2019

الاسم واللقب: آمنة شاوي

الجنسية: الجزائرية

الوظيفة: طالبة

الرتبة/ الدرجة العلمية: طالبة دكتوراه

المعهد/ الجامعة: 20 أوت 1955 سكيكدة

رقم الهاتف: 0656430994/ 0797528099

البريد الالكتروني: amnachguelma24@gmail.com

محور المداخلة: في ماهية الأدب الرّقمي.

عنوان المداخلة: الأدب التّفاعلي: المفهوم، الطّرح المصطلحي والخصائص.

الأدب التّفاعلي: المفهوم، والطّرح المصطلحيّ والخصائص.

آمنة شاوي

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

تطوّر الأدب ونمى ساعيا للوصول إلى نماذج أسمى في الإنتاج والتّأثير، منطلقا من مرحلة المشافهة إلى مرحلة الكتابة ثم بعد ذلك إلى مرحلة الرّقمنة التّفاعلية، في عصر فنى من المكان واختزل الوقت، بعدما حصل ذلك التّزاوج الخصب الذي أحدثته التّكنولوجيا بمختلف تقنياتها الفائقة، التي سمحت بخلق تصوّرات جديدة في السّاحة المعلوماتية الرّقمية، مخلّفة أنواع تعبيرية تفاعلية متأثّرة بالميديا ومختلف الوسائط الرّقمية، أهمّ ما ميّزها هو وجود "روابط" Links تسمح بتسهيل الانتقال والغوص في معالم النّصوص.

شكّلت الأنترنت بكلّ ما تحمله من مزايا محمودة ميلاد جنس جديد في الكتابة الإبداعية، أضحى اليوم متنفّس المتلقّي كونه منحه مساحة أوسع للتّفاعل معه، وبالتّالي ليثبت وجوده ويبني قراءته الخاصّة، ليتمّ الحصول في الأخير على عدّة نصوص؛ نصّ أصلي رقمي أنتجه المبدع، ونصوص ثانوية متفاعلة مع النّص الأوّل، تشبه في إطارها العام علاقة الشروحات والحواشي والهوامش بالمتن النّصي في الكتب الورقية لكن بشكل أوسع وأسهل، ممّا يعطيها سمة التّفاعلية الفائقة.

يمكن القول إنّ الأدب استفاد بصفة عامة من المنجز الإبداعي الرّقمي وراح يخوض تجاربه الخاصّة في خلق نماذج تفاعلية، برزت في أشكال تثبت أثر التكنولوجيا على حياة الفرد في مختلف مستوياته الفكرية والنّفسية والإبداعية. ولذلك فإنّ الأدب التّفاعلي في أبسط مفهوم له هو ذلك الأدب المكتوب على مساحة زرقاء، يسمح للمتلقّي بمحاورته ومساءلته إلكترونيا بطريقة أوسع وأسهل وأسرع. وقبل الشّروع في توضيح مفاهيم الأدب الرّقمي، لا بدّ من التّطرّق إلى التّداخلات المصطلحية، وهي في الحقيقة متأتّية من التّرجمة من اللّغة الأجنبية التي وردت بها هذه الاصطلاحات لأوّل مرّة. فما هو الأدب التّفاعلي؟ وما هي الاصطلاحات الأخرى التي تتقاطع معه؟ وما هي أهم خصائص هذا الجنس الأدبي الجديد؟

1- الطّرح الاصطلاحي للأدب التّفاعلي:

أفرزت علاقة الأدب بالتّكنولوجيا مصطلحات كثيرة مختلفة من حيث الدّلالات والمفاهيم والوظائف، ويرجع هذا الاختلاف إلى عاملين بارزين، هما:

أ- التّرجمة التي تشكّل هاجسا أمام التّعدد المصطلحي لظاهرة ما خاصّة في مجال التّقنية الذي يسمح بصهر كلّ القواعد والمعايير المتحكّمة في الضّبط اللّغوي للألفاظ.

ب- ارتباط هذا الأدب بالكومبيوتر الذي يعدّ الوسيط الأساس في التّعامل مع نصوصه، وإذا كان الارتباط بوسيط واحد، فهذا لا يعني أنّ الوظائف والمعاني واحدة.

نصادف التّشابك المصطلحي في الأدب المقدّم من قبل الحاسوب؛ حيث برزت عدّة اصطلاحات خاصّة مع بداية عولمة النّص ورقمنته، وكلّها مرتبطة بالأدوات والأجهزة المستعملة في خلق هذا الجنس الأدبي الجديد بمختلف تقنياته وآلياته، فظهر ما يعرف بالأدب الرّقميdigital literature، والأدب التّفاعلي interactive literature، والأدب الإلكتروني electronic literature ، والنص الشّبكي أو العنكبوتي cybertext ، والأدب السّمعي البصري، والأدب النّتي، والتّكنوأدب، والنّص الفائق، والنّص التّشعّبي، والنّص المترابط، والنّص المتفرّع hypertext...

وإذا أردنا الوقوف على هذه الاصطلاحات، سنلفي خلطا وتشابكا على مستوى دلالاتها؛ إذ يُعرّف **الأدب الرّقمي** على أنّه «**الأدب الذي يُقدّم على شاشة الحاسوب التي تعتمد الصّيغة الرّقمية الثّنائية (1/0) في التّعامل مع النّصوص أيّا كانت طبيعتها**» (**1**)، وتتطلّب قراءة النّص الرّقمي توفّر **شرطين** أساسين، (**2**) هما:

أ- امتلاك المعرفة المعلوماتية ولو في حدّها الأدنى، خاصّة العمليات الضرورية لتشغيل الحاسوب واستخدامه، كتحريك الفأرة، واستعمال لوحة المفاتيح، وتشغيل البرامج، وعمليات النّسخ والحفظ والتّحرك داخل مساحة الصّفحة.

ب- معرفة كيفية إنتاج النّص المترابط: إنّ معرفة كيفية إنتاج النّص المترابط وإنجازه ضرورية في عملية القراءة؛ إذ يجب على القارئ أن يدرك أنّ النص الذي يعاينه نصٌّ مترابط يختلف عن النّص الورقي، وهو بذلك مليء بالرّوابط التي تسمح له بالانتقال من شذرات نصية إلى أخرى بمجرّد تنشيطها بالنّقر عليها بواسطة الفأرة. وعليه أن يدرك أيضاً أنّه كلما واصل تنشيط هذه الرّوابط وتقدّم في فتحها ابتعد عن نقطة البداية، الأمر الذي سيدخله في "متاهة" قد يصعب عليه الخروج منها أو التّحكم في مسار عملية القراءة أو الاستفادة من النّص المترابط الذي يعاينه.

هذا يعني أنّ الأدب الرّقمي هو كلّ أدب مكتوب على الحاسوب، ألا يحيل هذا المفهوم إلى **الأدب الإلكتروني؟** الذي يشير إلى كلّ نص مقدّم من خلال شاشة الكومبيوتر المستند إلى الوسيط الإلكتروني، وقد تمّ تحديد **مظاهر تجلّي الأدب إلكترونيا** (**3**) من خلال:

أ- المنتديات الأدبية والإلكترونية: وتمتاز بأن عضويتها لا تتطلّب أوراقا ثبوتية، ولا تشترط الانتماء إلى حزب ما أو اتّجاه ما، وفيها يفتح باب النّقاش حول النّصوص كتابةً.

ب– الصّالونات الأدبية الإلكترونية "الحوارية": وفيها يمكن التّواصل بالصّوت والصّورة، لتقام ندوات أو مؤتمرات علمية متخصّصة، يشارك فيها علماء ومختصّون من جميع أنحاء العالم، دون أن يغادروا بلدانهم.

ج– المواقع الأدبية الإلكترونية: بعضها تنشئه مؤسّسة ما، وبعضها شخصيّ الملكية وعام المحتوى، قد تبدو هذه المظاهر بسيطة إلى حدّ ما، لا تتجاوز كونها صيغة إلكترونية لنماذج ورقية، لكنّها تتميّز بعدد من المزايا كالسّهولة والسّرعة في عمليتي النّشر والتّواصل، ومن ثم توفير الوقت وجهد التّنقّل، واختصار الزّمن والمسافة، وفتح المجال للتّواصل الثّقافي بين الأمم والحضارات المختلفة، وأخيرا إتاحتها لبقاء النّص.

د– المجلّات الأدبية الإلكترونية والصّفحات الأدبية في الجرائد الإلكترونية: يعدّ هذا المظهر بسيطا ولا يحتاج إلى الكثير من التّكنولوجيا ليظهر إلى حيّز الوجود.

هـ– الكتاب الإلكتروني: وهو مؤلّف من جزأين: آلة القراءة Hardware، ومحتوى الكتاب الرّقمي المحمّل فيها Software، ومن مزايا الكتاب الإلكتروني: قلّة تكلفته، وإمكانية الحصول عليه بلمسة واحدة في أيّ مكان من العالم، وسهولة التّوزيع، وسهولة البحث عن معلومة فيه ،كما يمتاز بالتّفاعلية عبر استخدام الرّوابط التّشعّبية التي توصل المتلقّي أثناء قراءته بمعلومات إضافية فور النّقر عليها بالمؤشّر. إلّا أنّ الكتاب الإلكتروني على الرّغم من مزاياه هذه، فإنّه لا يخلو من بعض العيوب، فمازال باهض الثّمن، وليس في متناول جميع النّاس، كما أنّه ليس من السّهل توجيه النّاس إليه بعدما شبّوا على الكتاب الورقي، كما له تأثيرات على حاسّة الرّؤية، بالإضافة إلى أنّ الإفراط في توظيف الرّوابط التّشعّبية قد يدخل المتلقّي إلى متاهات يصعب الخروج منها.

تمثّل هذه المظاهر الإلكترونية أولى إرهاصات الأدب التّفاعلي بعد أن يثمر ويصبح قابلا للتّداول والتّفاعل بين المتلقّين.

ويشير أيضا الأدب الرّقمي إلى **الأدب الشّبكي** المعتمد شبكة الأنترنت بوصفها الشّبكة العالمية التي تمجّد القرية الكونية، والتي تسمح باصطياد النّص عبرها ولمسه بعدما كان يُسمع ثم أصبح يُرى ممثّلا في **الأدب السّمعي البصري** المدعوم بالصّوت والصّورة والرّسوم، وأوّل من طرح هذا المصطلح هو **إبسن آرسيث Epsen Aarseth** وقصد به "النّص المتاهة"، والملاحظ من صفة "المتاهة" أنّه نصّ صعب وعلى المتلقّي أن يتفاعل معه أثناء قراءته تفاعلا متأنّيا حتى يتمكّن من الإحاطة والإمساك بمختلف الدّلالات المبثوثة فيه.

ويدلّ الأدب الرّقمي أو الإلكتروني على «**النّص text الذي احتلّ مكانا على صفحة الأنترنت، من جهة أولى، وعلى النّص المترابط أو التّشعبي hypertext، من جهة أخرى**» (**4**)، وهذا ما أقرّه كلّ من **كندل Robert Kindall** في صفحته و**كوسكيما Rani Koskima** في أطروحتها، التي تبنّت طرح **نيلسون Nelson** لـ**الأدب التّشعّبي**، فهو «**النّص الذي يتشعّب ويسمح بخيارات للقرّاء، هو أفضل قراءة على شاشة تفاعلية، ترتبط كما تصوّر تشعّبيا المتتاليات من أجزاء النّص بوصلات تقدّم للقارئ بطريقة مختلفة**» (**5**). يُفهم من هذا الملفوظ أنّ النّص التّشعّبي يستند إلى الرّوابط والوصلات التي تسمح للقارئ بالتّنقل بين ثنايا النّص بأريحية ويسر.

يقود الحديث عن الأدب التّشعبي إلى الحديث عن **النّص المتفرّع Hypertext** الذي صاغه **نيلسون** عام 1965 بهدف «**وصف الوثائق التي يقدّمها الحاسوب معبّرة عن البنية السّطرية non–liner للأفكار بوصفها خروجا على الصّيغة السّطرية المعتمدة في الكتب والأفلام والكلام المنطقي**» (**6**)، وقد اقترح هذا المصطلح **حسام الخطيب**؛ حيث عرّفه بأنّه «**نصّ غير سطري ويتألّف من إمكانات تفريع لا حصر لها**» (**7**)، مستندا أيضا إلى الرّوابط التي تنقل المتلقي عبر مساحات النّص، مشيرا بذلك إلى اصطلاح **النّص الفائق** المترجم عن **نبيل علي** للهايبرتاكست كون "الفائق" «**صفة تقييمية لا تحمل أيّ إشارة إلى طبيعة الهايبرتاكست، وقد اشتقت صفة (مفرّع) من مصطلح (فرع) الدّارج في فنّ الشّروح والحواشي عند العرب**». (**8**)

في حين تُرجم هذا المصطلح عند **سعيد يقطين** إلى «**النّص المترابط معلّلا ذلك بقوله إنّ (التّرابط) هو السّمة الأساسية التي تتّصل بمفهوم (hypertext)، وذلك بعد استعراض تعريفه في غير مرجع متخصّص في علم الحاسوب والبرمجة، منها موسوعة (إنكارتا) في نسختها الفرنسية، و(الموسوعة البريطانية)، وغيرهما**» (**9**)، تشير هذه الاصطلاحات إلى النّصوص التي تعتمد الوصلات في الانتقال من نص إلى نص آخر عبر خاصّية الإبحار التي يتوجّب على ملتقي هذا النّوع من النّصوص أن يفعّلها ويستخدمها.

أمّا **الأدب التّفاعلي** فيعتمد خاصية "التّفاعلية" التي عُرّفت على أنّها «**من سمات المجتمع المعلوماتي، وتعني قدرة مستقبل الاتّصال على التّعامل مع المشتركين الآخرين وتبادل ردود الأفعال المستمرّ لمعلومات ومكوّنات هذه الشّبكة طبقا لما يرونه من ردّ الفعل، ولهذا تتميّز التّفاعلية بالتّشبيك، بمعنى الرّبط الكامل بين جميع مستخدمي الشّبكة**» (**10**)، على أساس أنّها ميزة تمنح حيزاً أكبر للمتلقّي ليتحرّك بين عوالم النص وفضاءاته بكل أريحية من دون قيود أو إجبار في التّوجّه إلى دلالات أو قراءات بعينها، فهي «**الدّرجة التي يكون فيها للمشاركين في العملية الاتّصالية تأثير على أدوار الآخرين وباستطاعتهم تبادلها، ويطلق عليها (على ممارستهم) الممارسة المتبادلة أو التّفاعلية**». (**11**) ولفظة "التّفاعل" تُستخدم اليوم في مجال علمي ضمن "تفاعل المواد الكيميائية"، إسقاطا على ذلك في المجال الأدبي الإبداعي: تفاعل مجموع المتلقّين مع المبدع، ليتمّ إنتاج نصّ أو نصوص ثانوية، تمثّل قراءات ذوقية وفنّية للنّص الأوّل.

وقد قسّم الباحثون **خيارات التّفاعلية في الأنترنت** (**12**) إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ– التّفاعلية الإرشادية Navigational interactivity: وهي التي ترشد المستخدم إلى (الصّفحة التّالية) أو (العودة إلى أعلى)...

ب– التّفاعلية الوظيفية Fonctional interactivity: وهي التي تتمّ عبر البريد المباشر والرّوابط links ومجموعات الحوار news groups.

ج– التّفاعلية الكثيفة Adaptec interactivity: وهي تلك التي تقدّم غرف المحادثة، وتتيح لموقع الأنترنت أن يكيّف نفسه لسلوك المتصفّحين الزّائرين.

لا يكتسب الأدب، إذن، صفة "التّفاعلية" إلّا بعد تفاعل المتلقّين معه، وهذا يعني أنّها لا تقتصر على الأدب الإلكتروني ولا تخصّه، فإذا كان الأدب رقميا فقط فإنّه لا يثبت وجوده وجوهره الفعلي ولا يحقّق قيمته المطلوبة.

يمكن القول إنّ التّشابك الحاصل في الطّرح المصطلحي للأدب الرّقمي يُفضي إلى تعدّد المواقف والآراء، بحسب رؤى كلّ باحث في انتقائه للمصطلح الأنسب حسب نظره، وبالتّالي الاختلاف، لكن هذا لا يعني الاختلاف في جوهر الأدب الرّقمي وقوامِه وآلياتِه.

2– مفهوم الأدب التّفاعلي:

يُعدّ الأدب التّفاعلي جنسا أدبيا جديدا له أشكاله ومميّزاته وطرق إنتاجه وطرحه للمتلقّي، فهو «**من جهة سليل الممارسة الإنسانية وهو من جهة ثانية بداية لممارسة أدبية جديدة، ليس فقط لأنّه يوظّف وسائط جديدة ومغايرة لما كان سائدا، ولكن لأنّه ينفتح في إنتاجه وتلقّيه على علامات غير لفظية يجعله إيّاها قابلة لأن تندرج في بنيته التّنظيمية الكبرى، وتصبح بذلك بنيات يتفاعل معها مشكّلا نصّا متعدّد العلامات. وبتعبير آخر نقول: إنّنا أمام أدب أساسه "النّصية" ورقمي لأنّ قوامه "التّرابط" الذي نجده يختلف عن التّرابط الذي نجده في النّص المكتوب، ولكنّه لا يمكن أن يتجسّد إلّا من خلال الحاسوب وبرمجياته وعتاده**». (**13**) وهذا يعني أنّ هذا الجنس الأدبي يقوم على أربعة أقطاب، هي: **المبدع، والنّص، والمتلقّي، والحاسوب**، طبقا لما أقرّته **فاطمة البريكي** على نحوٍ أكثر انضباطا وعلمية؛ حيث عرّفته على أنّه «**الأدب الذي يوظّف معطيات التّكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتّى لمتلقّيه إلّا عبر الوسيط الإلكتروني؛ أي من خلال الشّاشة الزّرقاء، ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلّا إذا أعطى المتلقّي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنّص**». (**14**)

يُلاحظ أنّ الأدب التّفاعلي يقوم على مدى قدرة المتلقّي على التّعامل والتّفاعل مع النّص الرّقمي المقدّم له، ليكون في مواجهة مباشرة معه من خلال الوصلات التّشعبية التي تمنح له المزيد من الخيارات في تلقّيه للنّص المبدع، وعليه فإنّ الأدب التّفاعلي هو «**بيان للعلاقة القائمة بين الأدب والتّكنولوجيا، وهو جنس جديد في الإبداع الأدبي، يتمثّل في مجموعة جديدة من الأشكال الأدبية، مثل الرّواية التّرابطية، والمسرح التّرابطي، والشّعر الإلكتروني...**» (**15**)، وبهذا فهو يشكّل «**رهانا ينقل الثّقافي المحلّي إلى فضاء الهوية الإنسانية، ليمثّل حصان طروادة يحمل الثّقافة العربية إلى قلب العولمة**». (**16**)

تتحدّد بلورة مفهوم الأدب التّفاعلي من خلال الالتزام بجملة من **الشّروط** (**17**)، ويمكن إيضاحها في العناصر الآتية:

– تجاوز الآلية التّقليدية في تقديم النّص الأدبي.

– تحرّر المبدع من الصّورة النّمطية التّقليدية لعلاقة عناصر العملية الإبداعية ببعضها.

– الاعتراف والإقرار بدور المتلقّي في بناء النّص، ومدى قدرته على الإسهام فيه.

– الحرص على تقديم نص حيوي، تتحقّق فيه روح التّفاعل الحقيقية لتنطبق عليه صفة التّفاعلية.

تشير الآلية التّقليدية في تقديم النّص الأدبي إلى صورة عرض النّص الورقي التي تنفلت من التّقليد الذي يربط المبدع والنّص والمتلقّي، والذي بدوره يصبح هو مالك النّص مؤكّدا مقولة "موت المؤلّف"، ليبدع نصّا ثانيا تتحقّق فيه ميزة التّفاعلية، وتثبت التّقليدية إخلاص المتلقّي للأدب الورقي الذي سيطر ردحا من الزّمن على السّاحة القرائية، ولذلك تمّ حصر مجموعة **عوامل عملت على التّخوّف من المعرفة الرّقمية (18)** عند العرب، ويمكن تبيينها في النّقاط الآتية:

– الخوف التّقليدي من كلّ جديد؛ إذ أنّ كلّ جديد ليس سوى مؤامرة عالمية لتخريب التّراث العربي.

– الإحساس بالعجز نتيجة الهوّة الحضارية بين العرب والغرب.

– عدم الوثوق في المعرفة الرّقمية وعدم الاعتراف بالنّشر الرّقمي.

– التّعلّق التّاريخي بالمخطوط والورقي، والاستمتاع بالتّعامل مع الكتاب الورقي.

يلاحظ على هذه العوامل أنّها متأتّية من الجانب النّفسي لدى المتلقّي العربي، ولهذا فإنّه يمكن تجاوزها وإثراء التّجربة العربية في مجال الأدب التّفاعلي؛ لأنّها تجربة ضيّقة وتحتاج إلى المزيد من التّجارب على المستويين: الإبداعي والنّقدي.

ولهذا يجد المتتبع للإبداع الرقمي في العالم العربي انحسار هذ الإبداع كمّاً وكيفاً، وعدم انتشاره بالشّكل الذي يرجوه له دعاته وأنصاره؛ إذ أنّ عدد النصوص الإبداعية المنشورة لحدّ الآن قليل جداً. وتتعدد **أسباب هذا الانحسار (19)**، ولعل أهمّها ما يأتي:

– جدّة تجربة الإبداع الرقمي وضعفها: ذلك أنّ تجربة الإبداع الرقمي في الأدب العربي جديدة وحديثة العهد، وما تزال في بداياتها، ولم تحقّق بعدُ التّراكم المطلوب الذي يسمح بتطويرها وإثارة الاهتمام بها.

– التباس مفاهيم الإبداع الرقمي، وهذا راجع إلى جدّة التّجربة، وإلى ما تطرحه التّرجمة عن اللّغات الأجنبية من مشاكل وصعوبات، كما أنّه راجع في بعض الحالات إلى سوء فهم بعض المهتمّين بالإبداع الرّقمي، ومن تجلّيات سوء الفهم هذا ذلك الخلط الذي نجده لدى بعضهم بين ما هو إلكتروني وما هو رقمي.

– عدم امتلاك المبدعين تقنيات الكمبيوتر اللّازمة لإنتاج النّص الرقمي.

ترتبط أسباب هذا الانحسار في مجملها إلى عدم الاهتمام الكافي بهذا الجنس الجديد، وعدم مقدرة العربي على تقبّل كلّ ما هو آتٍ من الغرب، ولهذا تمّ اقتراح مجموعة من **الحلول (20)** لمحاولة الحدّ من آثار هذه الأسباب، نذكر منها:

– ضرورة الوعي بأهمية الحاسوب بوصفه وسيطاً رقمياً لا يستغنى عنه في العصر الحديث.

– تطوير معارفنا بالمعلومات في مختلف مجالات حياتنا اليومية والعلمية عن طريق إدراج مادة المعلومات في مقرّراتنا التّعليمية ومختلف ممارساتنا الثّقافية.

– تكوين ورشات للعمل بين الكتّاب، والمشتغلين بالأدب والفنّ، لتطوير ممارستنا الأدبية عبر الحوار والنّقاش، وذلك لتأكيد مقولة: "إنّ الإبداع الرقمي عمل جماعي".

– إصدار دوريات ومجلاّت علمية تُعنى بما يتحقّق في مجال المعرفة المعلوماتية ومتابعة الإبداعات الرّقمية الغربية والعربية التي تصدر على شبكة الأنترنت.

تعمل هذه الحلول باجتماع الوعي الكافي بمدى أهمّية المعلوماتية في عصرنا الحالي مع المزيد من الدّراسات الإبداعية والنّقدية على التّقدّم الفعّال في مجال الأدب الرّقمي، الذي أضحى اليوم –حسب اعتقادي– ضرورة لا بدّ منها في خضّم التّطوّرات المشهودة في هذا الجانب، ولهذا على العربي أن يسعى إلى

التّفاعل مع هذا الجنس الأدبي الذي يعدّ مكسبا حقيقة للمبدع والمتلقّي على حدّ سواء، وإن كان المتلقّي يحظى بالأهمّية الأكبر؛ لأنّ دور المبدع ينتهي حالما يصبح عمله في يد متلقّيه.

3– خصائص الأدب التّفاعلي:

إنّ أهمّ صفة يتميّز بها الأدب التّفاعلي هي «**التّفاعل بين النّص والمتلقّي من جهة، والتّفاعل بين النّص المترابط وبين الوسائط المتعدّدة التي تستخدم في إنتاج هذا الجنس الأدبي من جهة أخرى**» (**21**)؛ إذ تغدو هذه الميزة هي ما يطبع الأدب الرّقمي وتجعله يختلف عن النّصوص التي تعرف بالنّمطية كنصوص القرآن الكريم الإلكترونية، فلا يمكن للمتلقّي أن يتدخّل فيها أو يترك بصمته، وتبرز هذه الخاصية من خلال الوظائف التي يجب أن تتوفّر في المتلقّي، كخاصية التّأويل التي تعدّ جزءا ملائما لكلّ قراءة، وهي ممارسة حيّة في تلقّي كلّ نص، بالإضافة إلى الإبحار بفعالية من خلال المسارات التي تفضي على تفريعات أخرى من النّص لها صلة وثيقة به، وهو الانتقال بواسطة المؤشّرات داخل النّص للبحث عن المعلومات وتجميعها، زيادة عن التّشكيل وهو إعادة بناء النّص في حدود معيّنة، كما يُسمح للمتلقّي بالكتابة والتّدخّل في محتوى النّص، ويتمّ ذلك مجازيا من خلال البرمجة.

ويمكن تقديم مفهوم – يمكن أن نعدّه واضحا– من خلال مجموعة من **الخصائص** التي تميّز الأدب التّفاعلي، منها:

– يقدّم النّص التّفاعلي رؤية متعدّدة لتيمة واحدة، مستندا في ذلك إلى آلية الانتقال بيُسر داخل الشّاشة بخلاف صرامة الثّبات في النّص الورقي؛ بحيث لا يمكن أن يتفرّع النّص إلى نصوص في منفذ واحد ليكوّن طبقات من الرّؤى المنفردة لتيمة واحدة. (**22**)

– نفي الخطّية وهي جوهر التّنظير لطبيعة النّص المترابط، وتكمن في القول بالسّببية الدّورية بدل السّببية التّقليدية القائمة على الخطّية. (**23**)

– يتميّز النّص التّفاعلي عن سابقه الورقي أنّه حوّل تلك الأدوات الإدراكية والتّواصلية من عناصر خارجية في بناء النّص إلى عناصر داخلية، فاستثمار المعزوفة المصاحبة لقراءة النّص الإبداعي، وكذلك المؤثّرات الضّوئية، تنفصل عن النّص حين انتهاء تلك المصاحبة، وسيجد المتلقّي نفسه أمام الورق فحسب. أمّا مع النّص الرّقمي التّفاعلي فستتحوّل تلك المؤثّرات إلى عناصر بنائية مندمجة في بنية النّص، لتكون مترافقة متلازمة حين العرض. (**24**)

– ما يقدّمه النّص التّفاعلي الرّقمي اليوم هو خلق جوّ افتراضيّ عام للمتلقّي يتخيّله بأدوات التّخييل الرّئيسة: البصر والسّمع والحرف، فيتوحّد مع جوّه [...] ومن المعطيات التي تدفع المتلقّي لبلوغ حالة التّعايش –التي هي أعلى حالات التّأثّر النّصي– فاعلية التّلقّي بالمشاركة لا بالقراءة حسب. (**25**)

– للمتلقّي مع النّص التّفاعلي الرّقمي قدرة على التّدخّل في تفعيل قنوات التّفاعل مع النّص من حيث التّعديل البرمجي والتّصميمي له [...] فهو هنا يخرج من قسرية التلقّي إلى حرّية المشاركة في الإنتاج، وهذا التّحوّل يدفعه للتّوحّد مع العالم الذي يتلقاه لا الوقوف بموازاته؛ لأنّه أسهم بخلقه أيضا. (**26**)

– يكوّن خيال النّص الرّقمي خيالا كاملا، ولو تحقّق المشاركة في ذلك النّص الرّقمي سيكون تفاعليا حتما –باختلاف نسبتها– والمشاركةُ تلك سيسهم المتلقّي من خلالها بخلق أجواء النّص والتّلقّي، ليكون الخيال (الكامل) المنتج هنا خيالا تفاعليا؛ لأنّه خُلق بالمشاركة بين وحدتي التّواصل الرّئيسية (المرسل/ المتلقّي) بتفعيل نوافذ المشاركة في الوسيط (النّص). (**27**)

– يقدّم (الأدب التّفاعلي) نصّا مفتوحا، نصّا بلا حدود؛ إذ يمكن أن ينشئ المبدع، أيّا كان نوع إبداعه نصّا، ويلقي به في أحد المواقع على الشّبكة، ويترك للقرّاء والمستخدمين حرّية إكمال النّص كما يشاؤون. (**28**)

– يمنح الأدب التّفاعلي للمتلقّي فرصة الإحساس بأنّه مالك لكلّ ما يقدّم على الشّبكة. (**29**)

– لا يعترف الأدب التّفاعلي بالمبدع الوحيد للنّص، وهذا مترتّب على جعله جميع المتلقّين والمستخدمين للنّص التّفاعلي مشاركين فيه، ومالكين لحقّ الإضافة والتّعديل في النّص الأصلي. (**30**)

– البدايات في هذا الأدب غير محدّدة؛ إذ يمكن للمتلقّي أن يختار نقطة البدء التي يرغب بأن يبدأ دخول عالم النّص من خلالها، ويكون هذا باختيار الأديب المبدع الذي يبني نصّه على أساس ألّا تكون له بداية واحدة، وهذا الاختلاف في اختيار البدايات من متلقّ لآخر يؤدّي حتما إلى اختلاف صيرورة الأحداث من متلقّ لآخر أيضا. (**31**)

– النّهايات غير موحّدة في معظم نصوص الأدب التّفاعلي، فتعدّد المسارات يعني تعدّد الخيارات المتاحة أمام المتلقّي، وهذا يؤدّي إلى أن يسير كلّ منهم في اتّجاه يختلف عن الاتّجاه الذي يسير فيه الآخر، ويترتّب على ذلك اختلاف المراحل التي سيمرّ بها كلّ منهم، ممّا يعني اختلاف النّهايات أو على الأقلّ، الظّروف المؤدّية إلى تلك النّهايات وإن تشابهت أو توحّدت، وهذه الميزة تسمح بأن يخرج كلّ متلقّ للنّص برؤية تختلف عن تلك التي سيخرج بها غيره من المتلقّين، وهذا من شأنه أن يوسّع أفق النّص ويفتح باب التّأويل، وهذا يضمن للنّص البقاء والاستمرارية. (**32**)

– يتيح الأدب التّفاعلي للمتلقّين فرصة الحوار الحيّ والمباشر، وذلك من خلال المواقع التي تقدّم النّص التّفاعلي. إنّ معظم المواقع التي تقدّم الأدب التّفاعلي مثل اتّحاد كتّاب الأنترنت تفتح المجال لإجراء هذا الحوار، والذي تتجلّى فيه روح التّفاعل في أرقى صورها وأشكالها. (**33**)

– تتعدّد صور التّفاعل في هذا الأدب بسبب تعدّد الصّور التي يقدّم بها النّص الأدبي نفسه إلى المتلقّي، ففي الوقت الذي يتّخذ التّفاعل صورة واحدة في الأدب التّقليدي وهي صورة الكتابة النّقدية على هامش الكتابة الأدبية، فإنّ التّفاعل في الأدب التّفاعلي يتّخذ أشكالا متنوّعة. (**34**)

– إن هذا النّمط الجديد من الأدب يفرض شروطاً خارج شروط اللّغة التي تُعَدّ المكوّن الأساس للأدب، وعوض التّعامل مع اللّغة أصبح التّعامل مع الوسيط الإلكتروني، وعوض امتلاك القدرة على التّشكيل غير المألوف للّغة وعقد علاقات غير طبيعية بين الكلمات لإنشاء صور، وإحداث إيقاع أصبح هناك شرط امتلاك القدرة على الإلمام ببرامج معيّنة ومهارة الإبحار في الشّبكة، أو الاستعانة بمن يملك هذه المهارة من مهندسي الإعلام الآلي. (**35**)

ويمكن أن نجمل هذه الخصائص حسبما أقرّه **سعيد يقطين** في تميّز الإبداع الرقمي بثلاث **خصائص** (**36**)، هي:

أ– العنصر اللغوي: إذ إنّ النص الإبداعي سواء كان رقمياً أو ورقياً هو نص لغوي أولاً وأخيراً.

ب– تعدّد العلامات: إنّ النّص الرقمي يستثمر جميع الإمكانيات التي يتيحها الحاسوب للمبدع لتقديم نص متعدّد العلامات؛ لأنّ النّص الرّقمي يضمّ إلى جانب العلامة اللّغوية علامات أخرى غير لغوية، كالصّوت، والصّورة الثابتة والمتحركة، وغيرها من العلامات التي يفتقر إلى بعضها النّص الورقي.

ج– التّرابط النّصي: الرّابط هو تلك العلاقة التي تربط بين معلومتين أو بين شذرتين نصّيتين، وهذه العلاقة غير مرئية، وإنما يؤشر عليها بوصلات (كلمات أو جمل) تكتب بلون يختلف عن لون النّص، وغالباً ما يكون هذا اللّون هو الأزرق، أو يوضع تحتها خط لتمييزها من باقي كلمات النّص وجمله. ويُعدّ الترابط أهمّ خاصية تميّز النّص الرّقمي، فهو بعد جوهري في إبداع النّص الرّقمي وتلقيه، ومن دونه لا يمكن الحديث عن نص رقمي، وهو الذي يميّز النّص الرّقمي من النّص الإلكتروني (المرقّم)، كما أنّ التّرابط هو الذي يكسر خطّية النّص المكتوب، ويجعله متعدّد الأبعاد، ويسمح للمتلقي بأن يتحرّك في فضاء النّص وفق المسارات المتعدّدة التي يفرضها، دون أن يلتزم بالخطّية التي يتميّز بها النّص الورقي.

تشكّل هذه العناصر أهمّ الخصائص التي انماز بها الأدب التّفاعلي عن نظيره الورقي، بغضّ النّظر عن قيمة الأدب الورقي وتعلّق المتلقّين به على مدى عقود طوال، وإذا ما لاحظنا هذه المميّزات سنجدها تتمحور حول دور المتلقّي والمساحة الواسعة التي تُمنح له لإثبات وجوده في خلق نصّ ثانٍ، بالإضافة إلى ميزة التّفاعلية التي تمكّن المستخدم من استكشاف جلّ تفريعات النّص وكلّ ما يمتّ له بصلة من خلال الرّوابط التّشعّبية والوصلات التي تسمح بمعرفة المزيد عن الموضوع المراد دراستَه، أو تذوّقَه، أو تحليله، أو نقده، خاصّة بتوفّر النّص على شكل حرف مقترنا بالصّوت والصّورة والموسيقى والألوان ومختلف مؤثّرات الميديا التي أسهمت بشكل كبير في تلقّي الأدب الرّقمي ونقله إلى التّفاعلية.

خاتمة:

يمكن القول إنّ الأدب التّفاعلي يسهم في إثراء التّجربة الإبداعية العربية على الرّغم من العجز النّقدي في هذا المجال، خاصّة في قلّة الدّراسات حول هذا الموضوع ما عدا الانحمار الكبير على دراسة **تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق** لـ**مشتاق عباس معن**، التي نالت الاهتمام الوافر لما تتوفّر فيه من مؤثّرات جانبية متمثّلة في علامات غير لغوية ناهيك عن جمالية أيقوناتها اللّغوية وأنساقها الدّلالية المتكاتفة لتكوين مقصدية مؤلّفها.

لكن هذا لا ينفي عدم اهتمام الدّارسين بالأدب الرّقمي في عمومه، بل الوعي بمدى أهمّيته في ظلّ العولمة التي طغت بمختلف آثارها على جميع تمظهرات الحياة المعاصرة، ولهذا علينا أن نتجاوز أزمة المصطلحية لهذا الجنس الأدبي، ونفكّر في آفاقه وتطلّعاته وما يمكن أن يقّدمه للأدب العربي عموما في السّمو بالذّوق العام للمتلقّي.

الهوامش:

1- فايزة يخلف: الأدب الالكتروني وسجالات النقد المعاصر، مجلة الخطاب، العدد 15، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص 13.

2- سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 133.

3- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 31-48.

4- إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتّقنية مدخل إلى النّقد التّفاعلي، إربد، الأردن، ط1، 2013، ص 13.

5- المرجع نفسه، ص 14.

6- حسام الخطيب: الأدب والتّكنولوجيا وجسر النص المتفرع، المكتب العربي للتنسيق الترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص 117.

7- المرجع نفسه، ص 122.

8- المرجع نفسه، ص 122.

9- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 22.

10- حجاب محمد منير: المعجم الإعلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د ط)، 2004، ص 156

11- حجاب محمد منير: الموسوعة الإعلامية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د ط)، 2004، ص 746.

12- العربي محمد عثمان: الأنترنت، الاستخدامات والانتشار في السعودية، بحث مقدّم إلى مؤتمر ثورة الاتّصال والمجتمع الخليجي، الواقع أو الطّموح، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان، (د ط)، 2002، ص 7/6.

13- سعيد يقطين: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص 192.

14- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 49.

15- محمد مبارك البنداري: الأدب التّفاعلي ودوره في خدمة القضايا العربية، نسخة إلكترونية، موقع www.diae.net

16- اسحق علي محمد: الأدب التفاعلي: نقل الثقافي المحلي إلى فضاء الهوية الإنسانية، مجلة الدراسات المستقبلية، العدد الأول، السودان، 2016، ص 10.

17- ينظر فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 50.

18- ثائر العذاري: الأدب الرّقمي والوعي الجمالي العربي [تباريح رقمية] نموذجا، مجلة مقاربات، العدد الأول، المغرب، 2008، ص 59/ 60.

19- علي صديقي: الكتابة الرقمية عند سعيد يقطين، نسخة إلكترونية، موقع: https://darfikr.com/node/9826، ص 5.

20- المرجع نفسه، ص 5.

21- عمر زرفاوي: الكتابة الزّرقاء مدخل إلى الأدب التّفاعلي، كتاب الرافد، عدد 056، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر 2013، ص 195.

22- سلام محمد البناي: من الخطية إلى التشعب، مراجعة مشروع إبداعٍ تفاعلي لتأمين ذاكرة جمعية، دار الكتب والوثائق، بغداد، العراق، ط1، 2009، ص 11.

23- المرجع نفسه، ص 23.

24- مشتاق عباس معن: ما لا يؤدّيه الحرف، نحو مشروع تفاعلي عربي للأدب، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط1، 2010، ص 43.

25- المرجع نفسه، ص 44.

26- المرجع نفسه، ص 44.

27- سلام محمد البناي: الشعر التفاعلي الرقمي، الريادة والاحتفاء، سلسلة تباريح (1)، مطبعة الزوراء، العراق، ط1، 2009، ص 50.

28- ينظر فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التّفاعلي، ص 50.

29- ينظر المرجع نفسه، ص 51.

30- ينظر المرجع نفسه، ص 51.

31- ينظر المرجع نفسه، ص 51.

32- ينظر المرجع نفسه، ص 52.

33- ينظر المرجع نفسه، ص 52.

34- ينظر المرجع نفسه، ص 53.

35- آمنة بلعلى: أدب خارج شروط اللّغة، ثقافات، 2015، نسخة إلكترونية، موقع: http://thaqafat.com/2015/07/26898

36- سعيد يقطين: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، (نحو كتابة عربية رقمية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط1، 2008، ص 190/ 191.